﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾:

من اختصاصات الإله أنه قادر على كل شيء، أم وعلى أقل تقدير بعض الشيء الذي يعجز عنه عباده من كشف ضر أو تحويله، وإلّا فهو مثلهم، لا يختص بالألوهية دونهم، أو هو دونهم إن كان من غير ذوي العقول: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾[1].

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في الآية تلمح إلى أنها تعني الآلهة العقلاء من ملك أو جن أو إنسان نبي أو أياً كان، مقربين عند الله فهم فيما هم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً فغيرهم أعجز وأضل سبيلاً! والآية التالية ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ تصرح أنهم هم ومن الصالحين، فهم لا يُمَلِّكون هذا الكشف والتحويل في أنفسهم ولا عن أنفسهم إذ ليسوا آلهة في أنفسهم، ولا يملكون كشفاً ولا تحويلاً تخويلاً من ذي العرش حيث لم يملّكهم، فإن هم إلّا خلق من خلق الله يحاولون: ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ فكيف يعبدون؟.

فيما تنقطع الأسباب، وتحار دونه الألباب، وكلما تدعو بطاقات وإمكانيات وأسباباً ظاهرية متعددة فلا تستجاب، وقتئذ لا تنقطع الرجاء فتدعو فهل من مجيب ومستجاب؟

حين تدعو ربك توفيراً وتوفراً لشروط الدعاء تستجاب، وإذ تدعوه في ناقص الشروط أو ناقضها قد تستجاب وقد لا تستجاب، أليس هذا دليلاً على أن ربك كائن لا شريك له؟

والذين يدعون مع الله سواه، ثم يدعون الذين زعموا من دونه آلهة، فلا

(١) سورة يس، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً، هنالك لا إجابة من الآلهة ملائكة أو نبيين كمعبودين، وإن كانوا يدعون الله فيستجاب لهم إن لم يتوسل إليهم كمعبودين:

لا إجابة هناك على أية حال حين تدعونهم كآلهة، وإن كانوا مَن كانوا من المقربين، إذ لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، لا من أنفسهم، ولا من الله، إلا فيما يطلبونه - كعبيد - من الله، لأنفسهم أم لآخرين يعبدون الله، والذي يعبدهم لا يُرتضى، فهم لا يدعون له إذ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[١] ولو دعوا لم يُستجابوا أليس في هذه الدعوة الخاسرة الحاسرة آية باهرة أنهم ليسوا آلهة فضلاً عما سواهم من غير العقلاء ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾[٢]!:

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ... أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٣] فلو تذكرتم موارد الاستجابة حين تدعون ربكم، واللااستجابة حين تدعون آلهة تزعمون، لعرفتم ألا إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يشركون: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٤].

«فيا من لا يملك كشف ضري ولا تحويله عني أحدٌ غيره صلِّ على محمد وآله واكشف ضري وحوِّله إلى من يدعو معك إلهاً آخر لا إله غيرك»[٥].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٢) سورة يس، الآية: ٧٥.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.
(٤) سورة فاطر، الآية: ١٤.
(٥) نور الثقلين ٣: ١٧٦ ح ٢٥٩ في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام كان يقول عند العلة اللهم إنك عيّرت أقواماً فقلت: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٥٦] فيا من...

فكاشف الضر للمضطر هو الله، ومحوِّله عنه أم إلى غيره إن كان يستحقه هو الله، وليس لمن سوى الله حول ولا قوة إلّا بالله، ولا يحوِّل الله أو يخوِّل مِن حوله وقوته إلى سواه، اللّهم إلّا إلى من يشفعون بإذنه فيُشَّفعون، وليسوا إلّا من ارتضى الله شفاعته لمن ارتضى الله - فـ ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[1].

إن محمداً ﷺ وهو أوّل العابدين لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عمن دونه من اتُّخذوا آلهة، فضلاً لمن يعبدونهم: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

المشركون طالما يدعون أربابهم فلا يستجابون، ولكنهم عند البأساء والضراء لا يدعون إلّا ربهم ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[3].

إن الذين زعمتم من دونه آلهة وهم عباد صالحون:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ ممن زعمتم من دونه آلهة هم أنفسهم «يدعون»[4] ربهم فكيف يُدعون؟ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ لاستجابة ما يدعون فكيف يُبتَغون؟

(١) سورة الرعد، الآية: ١٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠، ٤١.
(٤) هذا الوجه بناء على كون «الذين» خبراً لـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾.

يدعون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ. . .﴾ أم ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[١] هم المشركون - هم «أنفسهم» يبتغون إلى ربهم الوسيلة. . . ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ يبتغي الوسيلة أكثر وآكد، أم وسيلة أقرب، فهم بالوسيلة الأقرب وأيُّهم أقرب يبتغي إلى ربه لكي يستجيب دعاءه ويقربه إليه، فكيف يُوصَّلون ويتأصَّلون في الدعاء وهم لأنفسهم يتوسلون إذ يدعون!.

ولقد أمر الله عباده أن يبتغوا إليه الوسيلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

هنالك مثلث من الوسائل إلى الرب - ١ - وسائل المعرفة فالعبادة أيهما أقرب وهم الرسل، - ٢ - الوسيلة العبادة والتقوى والجهاد فيهما أيها أقرب - ٣ - الوسائل الشفعاء عند الله عفواً عما قصّروا أو قصروا أيهم أقرب.

هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة لكشف الضر عنكم أو تحويلاً، هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، فليسوا هم كلهم وسائل إلى الرب فإنهم أيضاً يتوسلون، فكيف إذاً يُؤصَّلون كآلهة في كشف الضر؟.

فمنهم مَن هم في القمة المعرفية والعبودية، يبتغون أقرب الوسائل من العبادة للقرب[٣] والزلفى، دون توسل بوسيط الوحي إذ هم يوحى إليهم، ولا وسيط الشفاعة إذ هم أنفسهم شفعاء بإذن الله.

---

(١) وجه ثان على كون «الذين» صنعة لـ ﴿أُولَٰئِكَ. . .﴾.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٣) الدر المنثور ٤: ١٩٠ - أخرج الترمذي وابن مردويه واللفظ له عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ سلوا الله لي الوسيلة قالوا: وما الوسيلة؟ قال: القرب من الله ثم قرأ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].
وفي ملحقات الإحقاق ١٤: ٥٧٨ أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (ج ١: ٣٤٢ ط بيروت) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد أخبرنا عبد العزيز بن يحيى بن أحمد قال حدثني أحمد بن عمار الحماني عن علي بن مسهر عن علي بن بذيمة عن عكرمة في الآية قال: هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ومنهم مَن هم دون القمة لا يوحى إليهم ولا يحتاجون شفعاء، فلهم إذاً وسيلتان.

ومنهم من هو دونهما، يبتغون إلى ربهم الوسائل الثلاث أيهم وأيها أقرب.

فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ هم المشركون، هم العابدون للرب، المتوسلون إليه لأنفسهم أم لسواهم حيث يؤذن لهم - ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[١]!.

﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾ بما يقدمون من وسائلها ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ حيث يتحذَّرون وسائله، فالرجاء برحمة الله والخوف من عذاب الله كفتان متوازيتان لميزان الإيمان و«ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران نور خيفةٍ ونور رجاءٍ لو وُزِن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا»[٢] فـ «من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»[٣] «من خاف الله أخاف الله منه كلَّ شيءٍ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»[٤] «وإن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب»[٥] ومما حفظ من خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يا أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٢) نور الثقلين ٣: ١٧٦ في أصول الكافي بإسناد عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: ما كان في وصية لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما فيها أن قال لابنه: خف الله عز وجل خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك ثم قال أبو عبد الله عليه السلام كان أبي يقول إنه ما من عبد مؤمن...
(٣) المصدر بإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام ح ٣٦٢ و.
(٤) عنه ح ٢٦١.
(٥) عنه ح ٢٦٥.

بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته وفي الشيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة والنار»[١].

ليس الرجاء أن ترجو دون ترجٍّ ولا الخوف أن تخاف دون تخوف، فلكلٍّ شرط يربطه دون هَرْج ومَرْج فـ «من رجى شيئاً عمل له[٢] (طلبه) ومن خاف من شيء هرب منه»[٣].

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾:

يوم القيامة هنا يعني قيامة الإحياء، حيث الإماتة التامة تعنيها الآية بإهلاك وتعذيب قبل يوم القيامة، وهذا هو المسطور في أم الكتاب لدى الله، سطراً في سابق علمه دون محو أو تحوير: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[٤].

وبما أن ﴿قَرْيَةٍ﴾ هنا هي في نفي الاستغراق، فقد تعني كل قرية في الكون كله، أي مجتمع من حيوان أو إنسان أمن ذا؟ في أرض أم في سماء أمّاذا؟

---

(١) المصدر ح ٢٦٦ بسند عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: إن مما حفظ من خطب النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) المصدر ح ٢٦٤ علي بن محمد رفعه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو. فقال كذبوا ليسوا لنا بموالٍ أولئك قوم ترجحت بهم الأماني من رجا شيئاً عمل له ومن خاف من شيء هرب منه.
وفيه عن الحسين بن أبي يسارة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً ولا يكون راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

(٣) المصدر ح ٢٦٣ عن أبي عبد الله عليه السلام قيل له: قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت. فقال: هؤلاء قوم يترجحون في الأماني. كذبوا ليسوا براجين من رجى...

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

وترى الإهلاك هو الإماتة دون تعذيب، قرينةً من قرنه بالتعذيب؟ وهو يلمح لتعذيب! وليس قرنه إلّا شديد العذاب! فما دونه عذابٌ دون شديد قد يشمله الإهلاك!... إذاً فالإهلاك يعم الإماتة دون أي تعذيب، ودون تعذيب شديد، ومن ثم صورة ثالثة هي العذاب الشديد.

إنه لا مناص ولا محيص عن موت قبل قيامة الإحياء، موتات بعذابات أم دون عذاب، انفرادية لا تعنيها الآية لمكان ﴿قَرْيَةٍ﴾ وهي المجتمع وموتات جماعية لاستئصال الحياة عن الكون كله وليست إلّا بإماتة تعذيب جماعي كما في قرى ظالمة، عذاباً شديداً أو دون ذلك، أم بإماتة إهلاك لا تعني التعذيب، كما في سائر القرى، فهناك مثلث من الإماتة تعنيها الآية: هلاكاً دون عذاب، وآخر بعذاب، وثالث ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾!.

ولأن الإهلاك - أكثر ما يستعمل - يعني الإماتة العذاب، وقليلاً ما يأتي لإماتة دون عذاب[1] فهل تعني ﴿مُهْلِكُوهَا﴾ أكثرية العذاب، ولا تقوم القيامة إلّا في دولة الحق كما يستفاد من آيات وروايات.

قد يعني الإهلاكُ العذابُ ما يعم عذاب العصيان وعذاب غير العصيان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾[2] فهل أن العذاب الشديد يشمل كل مرضعة وكل ذات حمل وكل الناس؟

---

(١) كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ...﴾ [النّساء: ١٧٦] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤] ثم لا نجد في عشرات الآيات التي تحمل الهلاك الإهلاك العذاب لحد القول ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧].

(٢) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

كلا! وإنما يعني العذاب هنا ألم الموت الشديد مهما كان البعض إلى رحمة الله والآخرون إلى نقمته وثالثة ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾[١].

وترى ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ هنا يعني قيامة الإماتة نفسها حيث ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]؟ أم إهلاكات جماعية وتعذيبات تترى حتى هذه القيامة؟ قد تلمح أو تصرح ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أنه القبل الأوسع منذ البداية حتى النهاية، حيث القرى كلها ليست عند قيامة الإماتة حتى يقضي عليها كلها، وإنما ما تبقت منها حيث تلحق ما سبق حتى يتم الهلاك ويطمَّ.

فمثلث الإماتة مما لا محيد عنه قبل قيامة الإحياء، بالنسبة للقرى الحية يوم الدنيا ومن الإهلاكات والعذابات الشديدة الجماهيرية ما يحصل ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[٣] ويوم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ . . .﴾[٤] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾[٥] وكما منها عذابات الاستئصال قبل هذه الأيام، أم إهلاكات عذاباً ودون عذاب! فكل موتة جماهيرية قبل النفخ في الصور تشملها الآية دون إبقاء لأية قرية أياً كان وأيان! وأما أهل البرزخ فهل هم ممن يموتون عن الحياة البرزخية كما ماتوا من قبل عن الحياة الدنيوية، للبحث عنه مجال آخر يأتي بطيات آياته كآية الصعقة وأضرابها.

---

(١) نور الثقلين ٣: ١٧٨ ح ٣٧١ في تفسير العياشي عن محمد بن مسلم، قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الآية قال: إنما أمة محمد من الأمم فمن مات فقد هلك.
وفيه (٣٧٢) عن ابن سنان عن أبي عبد الله في الآية قال: بالقتل والموت وغيره.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٣) سورة الدخان، الآيتان: ١٠، ١١.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٥) سورة الكهف، الآيتان: ٩٨، ٩٩.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾﴾:

هل الآيات هنا تعني آيات الرسالات، أنها مُنعت في الرسالة الأخيرة أن كذب بها الأوّلون؟ وهذه الرسالة السامية تحمل أخلد الآيات وأبهرها طوال الرسالات! وليس تكذيب آية الرسالة - كما هو السنة السيئة من ناكريها - بالذي يمنع عن مواصلتها في الرسل تترى، ولا سيما هامة الرسالات وجوهرتها الأخيرة! والآيات الممنوعة للرسالة الأخيرة هنا لا تعني كلَّ الآيات، وإنما التخويفية: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ وأما آيات الرسالة الهادية غير التخويفية فهي لزام الرسالات كلها ولا سيما الأخيرة، كما نجدها في الذكر الحكيم! فمهما منع تكذيبُ الأوَّلين الإرسال بتخويفية الآيات التي منها ما هي هامشية موكدة مزيدة على الأصلية لعلهم يرجعون ومنها مستأصلة، فلا منع عن الإرسال بأصلية الآيات مهما كذب بها الآخرون.

وإنه إجابة عما يهرفه المكذبون بالرسالة الأخيرة: لماذا لم يرسل بتلكم الآيات؟ وآية القرآن تمتاز عن سائر الآيات لأنها خالدة دونها، ومن الآيات الاولى تخويفية دونها.

وترى إذا كان التكذيب بالآيات التخويفية ككل مانعاً عن الإرسال بها، فلتكن مانعة قبل الإرسال بها حيث يعلم الله قبل تكذيبها، ثم ولا فائدة فيها بعد تكذيبها فلماذا أرسل بها في الأولين؟.

إنها الآيات التخويفية المقترحة تعنتاً كناقة ثمود وأضرابها، حيث اقترحوها بعدما تبيّن لهم الحق بغيرها، فأرسل الله بها مزيداً في الحجة واستئصالاً للأعذار، فلما كذبوا بها أرسل عليهم عذاب الاستئصال، وقد طلبها المكذبون في هذه الرسالة السامية[1] فلن يرسل الله بها، إذ كذب بها

(١) نور الثقلين ٣: ١٧٩ ح ٢٧٣ في تفسير علي بن إبراهيم وفي رواية أبي الجارود عن أبي=

الأولون واستأصلوا، ومزيد الحجة الخالدة موجود في الرسالة الأخيرة، ولا يريد الله عذاب الاستئصال للأمة المرحومة[١]. ولا أن هناك عَرْضَ الإيمان حتى يؤمنوا: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]:

إن آيات الرسالة أربع، آية تخويفية، وأخرى ذات بعدين، وثالثة دون تخويف وهي وقتية، ورابعة آية باقية دون تخويف ولكنها أتم وأطم منها، فإذا جاءَت لم يبق مجالٌ لغيرها:

وهكذا تكون آية القرآن، فاقتراح آية دونه كما أرسل الأولون، اقتراح جاهل أو مكابد كما قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[٣] فآية الآخرين: القرآن - تختلف عن آيات الأوّلين في صورتها، وهي تزيد عليها في سيرتها وقضية الخلود في الرسالة الأخيرة هي الزيادة الخالدة سيرةً مستمرة، لا صورة مؤقتة تثبت رسالة مؤقتة، فتطلُّب آية وقتية بصرية تخويفية وسواها مع تلكم الآية الخالدة تطلُّب هُراء خواء.

ثم وآية الرسالة لا تأتي إلّا حجة باهرة، لا مزمجرة مهلكة، اللّهم إلّا حجة على حجة على المتخلفين عن المحجة، وليست هذه الآية يملكها المرسلون بها، وإنما هو الذي يرسلهم بها تدليلاً على رسالاتهم حيث تظهر

= جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ [الإسرَاء: ٥٩] وذلك أن محمداً صلى الله عليه وآله سأل قومه أن يأتيهم بآية فنزل جبرائيل فقال: إن الله يقول: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسرَاء: ٥٩] وكنا إذا أرسلنا إلى قرية آية فلم يؤمنوا بها أهلكناهم فلذلك أخرنا عن قومك الآيات.

وفي الدر المنثور ٤: ١٩٠ - أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس قال قال الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح والنبيون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم وإن عصيتم هلكتم فقالوا: لا نريدها.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥